المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-09-2006 العـــدد : 12406
الصفحـات : 20 المسلسل : 156

عوداً على بدء.. مرتبات أعضاء هيئة التدريس

الأستاذ الجامعي هنا.. والأستاذ الجامعي هناك..

أذكر أن إحدى المؤسسات الإعلامية – وهذا على سبيل المثال فقط – شرعت في تأسيس صحيفة عالمية، ورصدت لها مليار دولار للسنوات الخمس الأولى، وتعثرت الصحيفة في سنواتها الأولى مما أدى إلى تعالي أصوات قالت إن تلك المؤسسة قد خسرت مليار دولار.. ولكن رد رئيس المشروع الصحافي ليقول بأننا لم نخسر مليار دولار، بل قد استثمرنا مليار دولار.. وهناك فرق بين من يقول (خسرنا) وبين من يقول (استثمرنا).. ربما شبيها بمن يقول نصف الكأس مليئة ومن يقول نصف الكأس فارغة.. كلا الطرفين يرى نفس الموقف، ولكن طرفا واحدا يتسم بالتشاؤم، وطرف آخر يتجه إلى التفاؤل.. طرف ينظر إلى القيمة المباشرة للقرار، وطرف آخر ينظر إلى القيمة المستقبلية للقرار.. طرف ينظر إلى قدمه، وطرف ينظر إلى الأمام.. هذه المقدمة تمهيدية لموضوع زيادة مرتبات أعضاء هيئة التدريس السعوديين الذي يتم تداوله خلال الأسابيع الماضية في إطار من التفاؤل هذه المرة.. ولاشك أن هناك جدلا كان قد تم خلال السنوات الماضية، ولكن يبدو أنه حسم لصالح الارتقاء بمستوى ووضعية أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية.. وهذا ما نأمله فعلا، ولاسيما أن صحيفة عكاظ قد نشرت قبل نحو عشرة أيام خبر رفع مشروع زيادة مرتبات أعضاء هيئة التدريس إلى المقام السامي بعد انتهاء كامل الدراسات الخاصة بذلك، بما فيها وزارة المالية التي سبق أن اعترضت أكثر من مرة، ولكن يبدو أن الأمور ستكون بإذن الله في طريقها إلى الانفراج..

ودعوتي أسجل اعترافات جديدة في سياق هذا الموضوع.. وأطرح توضيحات للفرق بين أعضاء هيئة التدريس السعوديين، وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس غير السعوديين، سواء في بعض الدول الخليجية أو الدول المتقدمة بما فيها الجامعات الأوروبية والأمريكية..

١- بلا شك أن عضو هيئة التدريس هو العنصر الأساسي في الارتقاء بنوعية التعليم في أي جامعة أو كلية، ولهذا فإن المجتمع الذي يريد أن يغير من مستوى التعليم يجب أن يبدأ بالأستاذ الجامعي.. لأنه هو الذي يقدم المادة العلمية، وهو الذي يعد الجيل الجديد، وهو الذي يرفع من مستوى وإدراك طلاب الجامعة.. وبالتأكيد فإنني لا أشك إطلاقا بكفاءة أعضاء هيئة التدريس السعوديين، فهم أكفاء لأنهم – معظمهم – تخرجوا من أفضل الجامعات الأمريكية والأوروبية وغيرها من الجامعات الكبرى في مناطق مختلفة من العالم.. ولهذا فهم متمكنون من المعرفة العلمية والمنهجيات التدريسية، وقادرون على العطاء في هذا الجانب.. فهم زملاء لكثير من أساتذة الجامعات الحاليين في أوروبا وأمريكا وكندا وغيرها، لأنهم تخرجوا بمستوى متنافس مع هؤلاء الذين يقودون التعليم في تلك الجامعات.. ولهذا فإن عنصر الكفاءة والقدرة متوفر وبجدارة والحمد لله..

٢- هناك عنصران أساسيان لعمل ناجح لعضو هيئة التدريس، أولهما التدريس وثانيهما البحث.. وكلاهما مرتبطان ببعضهما البعض.. فالبحث يفرغ شحنات علمية جديدة في مضمون المادة العلمية التي يقدمها الأستاذ للطالب.. ولهذا يجب أن نفكر دائما في كلا المعادلتين في نفس الوقت..

(أ) الارتقاء بالجانب النفسي الذي يهيئ ظروفا اجتماعية تجعل مستوى العطاء أفضل ودرجة التميز أعلى، الذي يؤدي إلى عطاء تدريسي متميز، وإفراز علمي عالي الجودة.

(ب) الارتقاء بالجانب المادي الذي يشكل ضغطا اجتماعيا كبيرا بسبب تعقيدات الحياة ومستلزمات العملية التعليمية الجامعية، الذي يؤدي إلى تشتت التفكير والبحث دائما خارج أسوار الجامعة..

٣- عضو هيئة التدريس في جامعات العالم الأخرى يمتهن التدريس كمهنة عمر، فبعد أن يصل إلى مرحلة التدريس الجامعي، يكون قد أقفل كل طموحاته الأخرى، فهذه هي البوابة النهائية التي يريد ويتمنى أن يظل حبيسا لها.. ولكن لماذا يصل هنا الأستاذ الجامعي إلى هذه الحالة من الاقتناع بأن التدريس والبحث في الجامعة هو نهاية المطاف، بل هو غاية المطاف الذي يطمح إليه.. وهنا أسوق عدة أسباب، من بينها:

أ- الأستاذ الجامعي هناك هو بذاته مؤسسة مستقلة، يعرف متطلبات العمل التدريسي والمواثيق الأخلاقية للتعامل مع الطلاب، ويعرف التوجهات العامة للجامعة، ويدرك السياسة التدريسية في مجال التخصص.. كما يعرف الإجراءات والأنظمة.. وهذه كلها تقع في الخلفية الذهنية لعضو هيئة التدريس.. وبعدها ينطلق ليبدع في تدريسه وتعامله مع طلابه.. فتراه يقرأ كل ما يقع تحت يده من كتب ودوريات.. ويحاول دائما أن يتواصل مع زملاء التخصص ويستقي منهم ويستفيد منهم في جوانب جديدة في مضامين حديثة في المعرفة وطرق التدريس.. ولهذا فهو يقبل على محاضراته بحب وفرح وتحد كبير.. أما الأستاذ الجامعي هنا – ولا أقصد

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-09-2006 العـــدد : 12406
الصفحـات : 20 المسلسل : 156

التعميم – فإنه على عكس ذلك هو عبارة عن ساحة تراامي الأسهم، فهذا عميد كلية، وهذا وكيل قسم وهذا رئيس قسم وهذا وكيل جامعة، وهذا مدير جامعة.. وربما هذا وزير تعليم.. كلهم يغرقونه بسلسلة من التعليمات والأنظمة واللوائح والتعقيدات.. وكأنهم يريدون أن يلغوا منه روح الاستقلالية التي هي جوهر مدخلات ومخرجات الجامعة.. ولهذا يظل الأستاذ الجامعي أسيرا لمحاولات قولبة رسمية لفكره وشخصيته ومضامين علمه وطرق تدريسه ومنهجيات عمله.. ولهذا فهو مكبل بجميع وغير هذه الظروف التي تقيد من إبداعه..

ب– الأستاذ الجامعي هناك لا يتحدث، ولا يفكر إلا في بحث أو دراسة أو نظرية أو مؤتمر.. أو شأن عام له علاقة بموضوع تخصصه.. أما الأستاذ الجامعي هنا، فقد لا يتحدث عن هذه كلها، بل إن حديثه المحوري هو عن الأسهم، والعقار، والتجارة، والاستشارات الخارجية.. والسبب في هذا الاختلاف النوعي هو أن الأستاذ الجامعي هناك وصل إلى مستوى معيشي عالي، فهو قادر على أن يمتلك منزلا ولهذا فهو يلغي التفكير عن العقار، وقادر على أن يوفر الكثير من المال، ولهذا فهو يلغي التفكير في الأسهم.. وهو مقتنع بمهنة التدريس كنهاية مطاف له، فهو يلغي الحديث عن التجارة وعن البقالات، ومحطات البنزين، والمكتبات القرطاسية، والمطابع وغيرها.. وهو قادر على أن يجد نفسه في البحث العلمي، ولهذا فهو قادر على أن يفكر دائما في البحث والتدريس والمؤتمرات العلمية وللمؤلفات والكتب.. الأستاذ الجامعي هناك يرى أن عمله الجامعي هو أفضل عمل يطمح إليه، لأنه متميز ومقدر اجتماعيا، ويحقق له إشباعا ذاتيا واجتماعيا كبيرا، أما الأستاذ هنا فيفكر دائما أن يغادر الجامعة من أول فرصة (الحب من أول نظرة)، ولن يشعر بندم على ذلك، ولهذا فنسبة تسرب أعضاء هيئة التدريس السعوديين عالية جدا مقارنة بغيرها من الدول المتقدمة والعربية والخليجية.. ويعود ذلك في سببه الرئيسي إلى الوضع المادي الذي لا يحقق له الحياة التي يتمناها، بل أحيانا لا تحقق الحد الأدنى الذي كان يطمح إليه..

ج– الأستاذ الجامعي هناك يحضر في العام ثلاثة أو أربعة خمسة مؤتمرات بدون مكاتبات معقدة وخطوط إدارية عليا.. كما أن كثيرا من هذه المؤتمرات تكون مغطاة بتمويل من الجامعة أو مراكز بحثية.. وكنت لا أزال أذكر في إحدى المرات أنني كنت مع زميل من جامعة أمريكية نحضر مؤتمرا في أيرلندا، وكنا في أحد المطاعم، وطلب أن يحتفظ بفاتورة الغداء، وذلك لجمعها، فالجامعة ستعوضه عن كامل تكلفة حضوره هذا المؤتمر.. أما الأستاذ الجامعي هنا فإن بيروقراطية المؤتمرات لا تزال في درجة من التعقيد – هي أفضل من قبل – ولكنها تظل هناك اشتراطات المدة، وضرورة تقديم بحث، وغياب الأعباء الإدارية، وغير ذلك..

ولهذا فإنني أنتظر إلى الخبر الذي نشر زيادة متوقعة بعين الأمل الكبير، ليس لنا كأفراد ولكن لنا كمؤسسات تعليمية عليا، فيجب أن يكون هذا التعديل في مرتبات أعضاء هيئة التدريس مجزيا، ليصل بهم إلى مستوى أفضل، ولعله يسهم في دفعهم إلى الأمام.. ونحن واثقون أن حكومة خادم الحرمين الشريفين بقيادة الملك عبدالله وسمو ولي عهده الأمير سلطان هما حريصان كل الحرص على دفع عجلة التعليم إلى الأمام، واستشعار خطر تدني الأداء التعليمي، وزيادة نسبة تسرب أعضاء هيئة التدريس في الجامعات إما إلى جهات حكومية، أو إلى قطاع خاص، أو حتى بالتقاعد المبكر.. ونحن نعلم حرص القيادة السعودية بهذه الشريحة التي تمثل عقل المجتمع وبصمة الجيل الجديد.. فقد عمل الملك فهد يرحمه الله منذ أكثر من خمسة عشر عاما على تحسين وضع أعضاء هيئة التدريس السعوديين بمنحهم مكرمة ملكية عبارة عن منحة ملكية بمساحة ألفين وخمسمائة متر مربع، ولكن لم يعط الكثير منهم إلا النصف أو أقل، كما أن كثيرا ممن أخذها سدد بقيمتها مديونيات كبيرة متراكمة عليهم.. والسؤال المهم هنا وفي هذا السياق، هل يمتلك عضو هيئة التدريس السعودي وهو في مستواه الحالي منزلا خاصا.. الجواب أن البعض – الكثير لا يمتلك إلى الآن أي منزل له، والدليل على ذلك أن بعض أعضاء هيئة التدريس ممن بلغوا السن التقاعدية خرجوا من مساكنهم الجامعية إلى منازل استأجروها.. ولهذا فإن التفكير في هاجس الاستقرار العائلي هو شغل كبير يؤرق هذه الفئة.. ثم أعود إلى من قد يقول إننا نخسر بزيادة مرتبات أعضاء هيئة التدريس، لأقول لهم إننا نستثمر في هذه الفئة إذا أردنا أن نرتقي بمؤسسات التعليم العالي، ونرتقي بالجيل الجديد الذي سيقود مشروع التنمية القادم..

* رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية
للإعلام والاتصال
أستاذ الإعلام المشارك بجامعة الملك سعود
alkarni@ksu.edu.sa